

إذاً هناك نقطة دقيقة، الشيء الداخلي، يبدأ من هاجس، إلى خاطر، إلى حديث نفس، إلى هم، إلى عزم، هذه لا تحاسب عليها أيها المؤمن إن كانت ليست في صالحك، وتحاسب عليها حساباً إيجابياً إذا كانت في صالحك، أما الأعمال السيئة لا تحاسب عليها إلا إذا فعلتها.

الترغيب في الإخلاص:

و:

((من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يُصلي من الليل فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نوى))

أي صادق، نوى أن يستيقظ لصلاة الفجر، أو لصلاة قيام الليل، غلبته عينه يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((له ما نوى))

[رواه النسائي وابن ماجه، وصححه ابن حبان عن أبي النرداء]

هذا الترغيب في الإخلاص.

الترهيب من الرياء:

أما الترهيب من الرياء، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللهُ بِهِ وَمَنْ رَأَى رَأَى اللهُ بِهِ))

[متفق عليه عن جندب بن عبد الله]

ما معنى سمع؟ أي هو يذكر الله في قلبه، دخل إنسان للمسجد فرفع صوته ليقلته إليه، أنا أذكر الله، سمعه، أحياناً الإنسان يسمع الناس بأعماله الطيبة، يسمعون، يتحدث عن أعماله، يقصد بها أن يتباهى، يقصد بهذا الحديث أن يظهر ورعه، أن يظهر عبادته.

((مَنْ سَمِعَ))

طبعاً سمع من التسميع، والاسم السمعة، من السمعة، وهي مثل الرياء، إلا أن السمعة خاصة بالسمع، كرفع الصوت بالذكر و الإظهار للناس، والرياء خاصة بحاسة البصر، إن فعلت شيئاً ليرك الناس، هذا رياء، وإن قلت قولاً ليسمعك الناس هذا التسميع، إن قلت قولاً ليسمعك الناس، تنتزع إعجابهم، هذا تسميع، وإن فعلت شيئاً ليرك الناس هذه مراعاة.

يرائي الله به أن يطلعهم في الدنيا أو في الآخرة على أنه فعل ما فعل لوجههم لا لوجهه، هو أراد أن ينتزع إعجاب الناس، فالناس يعلمون ذلك، يرائي الله به، يظهر رياءه، يسمع الله به، يظهر رياءه بالتسميع، التسميع لحاسة السمع، والمراعاة لحاسة البصر، الإنسان إذا سمع الناس بأفعاله، الله جلّ جلاله أظهر للناس تسميعه، يظهر هنا التناقض، يظهر فلتات لسان، يظهر بوضع آخر لا يرضي، معنى ذلك أن هذا ليس لله عز وجل، في النهاية:

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾

(سورة آل عمران الآية: 179)

لا بدّ من أن يظهر هذا العمل.

((مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ رَأَىٰ رَأَىٰ اللَّهُ بِهِ))

[متفق عليه عن جندب بن عبد الله]

العبادات النافلة دعها بينك وبين الله لا تسمع بها ولا ترائي بها:

حديث آخر:

((من صلى وهو يراني فقد أشرك، ومن صام وهو يراني فقد أشرك، ومن تصدق وهو يراني فقد أشرك))

[أخرجه البيهقي عن شداد بن أوس]

أي الإنسان إذا أراد أن يصلي ليعرف الناس أنه يصلي، أو أراد أن يصوم ليعرف الناس أنه يصوم، مثلاً الإنسان إذا صام نفلًا، يطبل الدنيا بهذه الصيام، ألم تصوموا اليوم؟ اليوم عاشوراء، أنا صائم اليوم و الحمد لله، هذه أصبحت مرآة، إن أردت بهذا الصيام وجه الله صم واسكت، نفل الصيام، هناك إنسان له وضع خاص يتحرش بالناس، ليريهم أمه صائم، يقول لهم مثلاً: كيف الترتيب؟ هل يوجد صيام اليوم؟ يريد أن يفتعل مشكلة، هذا صيام الرياء، هناك صلاة الرياء، وهناك تصدق الرياء.

((ومن صام وهو يراني فقد أشرك))

[أخرجه البيهقي عن شداد بن أوس]

الصحابة الكرام – رضي الله عنهم وأرضاهم – كانوا مع رسول الله في سفر، في رمضان، وكان السفر شاقاً، بعضهم صام، وبعضهم أفطر، لا الذين أفطروا أخذوا على الذين صاموا، ولا الذين صاموا أخذوا على الذين أفطروا، هذه قضية شخصية مع الله عز وجل. مرة الذين أفطروا كانوا أقوى فقاموا، وطبخوا، ونحروا الجزور، وهيؤوا الطعام، ونصبوا الخيام، فقال عليه الصلاة والسلام:

((ذهب المفطرون اليوم بالأجر))

[البخاري عن أنس]

العبادات النافلة هذه دعها بينك وبين الله، لا تسمع بها، ولا ترائي بها.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

((إياكم وشرك السرائر قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر قال يقوم الرجل فيصلّي فيزيّن صلاته جاهاً لما

يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر))

[أخرجه ابن خزيمة عن محمود بن لبيد]

أي يتقن الإنسان صلاته أمام الناس، ولا يتقنها في بيته، إتقان الصلاة أمام الناس نوع من الشرك، إذا عليك أن

تتقنها في البيت أيضاً، الحل ألا تتقنها، أنا لا أشرك، لن أتقنها أمام الناس، اتقنها أمام الناس وفي بيتك لم يعد هناك مشكلة.

الأعمال لا تقبل إلا بشرطين ؛ الإخلاص و الصواب:

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة كان من الصحابة فقال:

((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك))

[أخرجه الترمذي وابن ماجه والطبراني عن أبي سعيد بن أبي فضالة]

أحياناً أنت تعمل عملاً لإنسان ضعيف، إنسان لا يستطيع أن يكافئك عليه، فيخيب ظنك، فالعمل لغير الله، غير الله ضعيف، فقير، لئيم أحياناً تخدمه خدمات لا تحصى، لا يذكرها أبداً، ينساها، قد يسيء إليك، والذي أراه أن الذي يشرك هذا الذي أشركه مع الله هو قد يكون أفضل من ذلك إلا أن الله يلهمه أن يكون لئيماً، كي تنقطع عنه وتتصل بالله عز وجل.

حديث آخر:

((يجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتنصب بين يدي الله، فيقول الله للملائكة: ألقوا هذا واقبلوا هذا))

[ابن عساکر عن أنس بن مالك]

أعمال طيبة كلها بصحف.

((فتقول الملائكة وعزتكم ما رأينا إلا خيراً فيقول وهو أعلم إن هذا كان لغيري ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما

كان ابتغى به وجهي))

[ابن عساکر عن أنس بن مالك]

هناك أعمال طيبة إلا أنها ليست وجه الله، ألقوها.

طبعاً لا زلنا في باب الإخلاص، لذلك الفضيل بن عياض يقول: الأعمال لا تقبل إلا بشرطين ؛ إلا إذا كان العمل خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغى به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة.

الشرك الخفي يوجب الاستغفار و الشرك الجلي يوجب النار:

وعن أبي علي – رجل من بني كاهل – قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال:

((يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب

فقالا والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذوناً لنا أو غير مأذون. فقال بل أخرج مما قلت خطبنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقال له من شاء

الله أن يقول وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال: قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك

بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه))

((أدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل))

[صحيح الحاكم عن عائشة]

إنسان نصحك بأدب أز عحك، هزّ لك مكانتك، جرحك، أغضبك، لقد أشركت نفسك مع الله، أخذتك العزة بالإثم، أنت أشركت الآن.

أو إنسان له انحراف، جاءك منه نفع، تغاضيت عن انحرافه، وأثيت عليه، فعندما أثيت عليه فقد مدحته، وإن الله ليغضب إذا مدح الفاسق، وأدنى مراتب الشرك أن تحب على جور وأن تبغض على عدل. والحقيقة الشرك الخفي منتشر كثيراً لقول الله عز وجل:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

(سورة يوسف)

الشرك الخفي، أما الجلي — والعياذ بالله — شرك للكبائر، أي يوجب النار، أما الشرك الخفي يوجب الاستغفار، فالإنسان يستغفر الله من شرك يعلمه، ومن شرك لا يعلمه.

والحمد لله رب العالمين